جهادنا في فلسطين

الدكتور مصطفى السباعي

دار الوراق
للنشر والتوزيع



الدكتور السباعي قائد كتائب الجهاد إلى فلسطين ١٩٤٨


بسم الله الرحمن الرحيم


النادي الشبابي

جهادنا في فلسطين

الدكتور مصطفى السباعي



دار الوراق
للنشر والتوزيع

الطبعة الأولى لدار الوراق

١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م





بيروت - هاتف وفاكس: ٦٦٤٤٩٩ /٠١ - ص ب: ٦٣٨٠ /١٤

E. Mail: msibaie @hotmail.com

المملكة العربية السعودية - الرياض - الرمز ١١٤١١ - ص ب ٩

هاتف ٤٥٥١١٤٢ - فاكس: ٤٥٣٠٠٧١

لم يحن بعد نشر المذكرات التي دوّنتها عما شاهدته في معركة فلسطين بعد قرار التقسيم لظروف واعتبارات متعددة، وإنما أوجز القول هنا في دور الإخوان المسلمين في تلك المعركة وقبلها، لا تبجحاً بما قاموا به من ضروب التضحيات، فقد علّمنا الإسلام كراهية التفاخر بالأعمال والتحدث عنها إلا لضرورة، ولكن تسجيلاً لتاريخ قد يطمسه بعض المؤرخين والكاتبين عن سهو أو عدم اطلاع أو سوء نية.

كان الإخوان المسلمون أول هيئة عنيت بالقضية الفلسطينية على الصعيد الشعبي، ونستطيع أن نحدد بدء هذه العناية بأواسط الحرب العالمية الثانية عام **١٩٤٢** أو **١٩٤٣**، فقد اجتمعت ذلك العام بالأخ المجاهد الشيخ نمر الخطيب في فندق أمية بدمشق وكنت أرحب بزيارته لدمشق قادماً من فلسطين، فحدثني عن استفادة يهود فلسطين من الحرب العالمية الثانية حيث شكلت السلطات البريطانية لهم كتائب تتدرب على القتال، وأمدتهم بالأسلحة والذخائر،

واتفق أن وصلت إلى حيفا خلال سني الحرب صناديق كبيرة باسم بعض المحلات التجارية اليهودية على أنها تحمل أقمشة وسلعاً، فتحطم منها صندوق على الرصيف فإذا به يحتوي على مسدسات وبنادق سريعة الطلقات وغيرها فعلم سكان حيفا بالأمر مما جعل الشهيد الشيخ عز الدين القسام رحمه الله يعتزم القيام بثورته مع إخوانه ومريديه وقد كان يعمل لها سراً منذ سنين ـ أقول ولقد حضرت له درساً في بعض مساجد حيفا ليلة الإسراء والمعراج وكنت في طريقي إلى القاهرة فأدهشتني قوة روحه وتوجيهه وما يبثه في الناس من آيات الفداء والاستشهاد على تقدمه في السن ـ ثم قال لي الأستاذ الخطيب: إن الوضع في فلسطين خطير ونحن عرب فلسطين يحظر علينا حمل أبسط أنواع السلاح، والعرب والمسلمون غافلون عما يبيت لفلسطين من شر بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية.

فهل لك أن تعلن صوت النذير والإيقاظ؟ وكان حديثاً دمعت له عينانا وتعاهدنا الله على أن نبدأ العمل.

وألقيت أول محاضرة عن فلسطين ـ نشرتها جريدة القبس كاملة ـ في مقر الإخوان ـ وكان اسمهم يومئذ الشبان المسلمين ـ في باحة مسجد الدرويشية بدمشق، وانتهت المحاضرة بحماس من المستمعين خرجوا على أثرها في مظاهرة كبرى تهتف لفلسطين وتدعو إلى العمل من أجلها،

حتى إذا وصلت المظاهرة أمام مديرية الشرطة العامة على ضفة بردى خرج مدير الشرطة العام ـ وكان يومئذ الدكتور عبدالكريم العائدي ـ وأبدى دهشته من مثل هذه المظاهرة الليلية، حيث كانت الأحكام العرفية معلنة، والتجمعات ممنوعة بمناسبة الحرب، وحاول فض المظاهرة بالحسنى فأبى الجمهور إلا أن تصل إلى فندق الشرق حيث كان يقيم رئيس الوزراء السيد سعد الله الجابري رحمه الله، ولما وصلت إلى ساحة محطة الحجاز حيث فندق الشرق رغب المتظاهرون في إرسال وفد منهم لمقابلة رئيس الوزراء حيث يشرحون له خطورة القضية الفلسطينية فأبى استقبال الوفد وأرسل مدير الشرطة العام ليحمله المتظاهرون مطالبهم ثم تفرقت المظاهرة.

* * *

وانتقلت بعد ذلك إلى جميع المدن السورية أشرح للجماهير خطورة الوضع حتى اتهمني الغافلون عن حقائق الأمور في فلسطين بأني أبالغ كثيراً فيما أسرده من حقائق.

ولما انتهت الحرب العالمية الثانية أخذ الإخوان المسلمون يعملون لفلسطين في ثلاثة ميادين:

١ ـ الصعيد الرسمي بتقديم المذكرات للحكومة والجامعة العربية.



الدكتور السباعي في طليعة كتائب الجهاد إلى فلسطين

٢ ـ الصعيد الشعبي بالمحاضرات والاجتماعات العامة في المدن والقرى.

٣ ـ الصعيد العملي حيث أرسل الإخوان بعض شبابهم ليزوروا فلسطين ويطلعوا على أحوال اليهود فيها فزاروا يافا وتل أبيب وحيفا والقدس وكثير من المستعمرات اليهودية.

فلما كانت كارثة التقسيم عام ١٩٤٨ وهبّ الشعب في جميع البلاد العربية يطالب بالتطوع في القتال لمنع التقسيم، أخذ الإخوان يعقدون الاجتماعات العامة يبينون خطر الكارثة ووضعوا لذلك ميثاقاً أخذوه على الجماهير بتأليف جيش لتحرير فلسطين يتطوع فيه كل قادر على

القتال، وبرفض التقسيم والدفاع عن عروبة فلسطين، وأعلنوا فتح باب التطوع في مراكزهم في جميع أنحاء البلاد، وأقبل الشعب إقبالاً منقطع النظير على تسجيل أسمائهم كمتطوعين في جيش التحرير المرتقب، ولكن الحكومة فاجأتنا بقرار يمنع أية هيئة من تسجيل المتطوعين (وكان واضحاً أننا نحن المقصودون بهذا القرار إذ لم تكن هنالك هيئة أعلنت قبول المتطوعين غير الإخوان) ثم اتخذت الجامعة العربية قراراً بتأليف جيش الإنقاذ وافتتحت الحكومة مراكز للتطوع، فطلبنا منها أن يكون شبابنا منضمين في كتائب خاصة بهم تحت قيادة جيش الإنقاذ فرفضت ذلك، مما دعا إخواننا إلى الاندماج في كتائب المتطوعين، ولكن ما سارت أفواج المتطوعين إلى فلسطين حتى جاءتنا رسائل الإخوان المتطوعين من كل مكان تستغيث من الجو الذي يعيشون فيه ويطلبون إلينا أن تكون لهم كتائب خاصة بهم ينسجمون فيها مع عقيدتهم وعبادتهم وأخلاقهم.

كانت فكرة المسؤولين قائمة على أن المتطوعين يجب أن يكونوا من العامة وذوي السوابق في الجرائم أو المتعطلين عن العمل، فقد قال لي مسؤول كبير: إنك تحمس الشباب المتعلمين للتطوع في حرب فلسطين، ومن الحرام أن نرسل بهذه الزهرات ليموتوا هناك، وخير منهم

العاطلون من القبضايات! (أي الشطار وأهل الفتوة ممن عرفوا بالجرأة في القتل والضرب) وهؤلاء موجودون بلا عمل فلنرسلهم إلى هناك، فقلت له: إن معركتنا مع اليهود ليست معركة أجسام وزنود بقدر ما هي معركة وعي وتضحية وإيمان، وإننا سنقاتل في فلسطين شباباً من اليهود أعدوا فكرياً وعسكرياً لهذه المهمة منذ سنوات.

هذا هو السبب في أننا طلبنا أن تكون لشبابنا كتائب خاصة بهم تحت قيادة جيش الإنقاذ، وأخيراً عدنا إلى الإلحاح مرة أخرى في السماح لشبابنا بتشكيل كتائب خاصة بهم فكان الجواب: إذا أردتم أن تذهبوا في أفواج خاصة فنحن لا نقدم لكم سلاحاً بل يجب أن يكون سلاحكم منكم، هذا مع أن الجامعة العربية أرصدت لجيش الأنقاذ مبالغ طائلة، وكل المتطوعين عندهم يقدمون لهم أسلحتهم وذخيرتهم وألبستهم، فليس امتناع المسؤولين عن إعطائنا السلاح إلا تحميلنا ما لا نقدر عليه. فقد بلغ ثمن البندقية ألف ليرة سورية (مائة جنيه استرليني) وأكثر شبابنا المتحمسين للقتال طلاب وعمال فكيف نستطيع أن نتحمل ثمن أسلحتهم؟ ولم نجد بداً من عرض الأمر على الإخوان المتطوعين فكان من حماستهم ما يذهل ويدهش، فمنهم من تبرّع بثمن بندقية، ومنهم من اشترك مع أخ أو أخوين في ثمن

بندقية، ولا أستطيع الآن أن أفيض في تسجيل هذه المآثر، وحسبي أن أذكر شيئاً مما تيقنته بنفسي، فقد رأيت بعضهم وكان على أهبة الزواج يبيع إحدى سجادتيه اللتين اشتراهما لزواجه، ورأيت منهم من باع بعض ثيابه، ورأيت من استدان، وهكذا...



الدكتور السباعي في قيادة الفوج الثاني في قطنا

وأخذنا نفتش عن السلاح وكان نادراً وغالياً، واضطرني ذلك لإقامة شهر كامل في محافظة حلب نتجول في كل يوم في القرى المتاخمة للحدود التركية لشراء البنادق والمسدسات، حتى إذا تم لنا تجهيز السلاح لكتيبة كاملة انتقينا من مئات إخواننا المتطوعين في مختلف المحافظات السورية من نعلم خلوهم من عوائق القتال في

فلسطين، واضطررنا للاقتراع بينهم فغضب لذلك كثيرون حتى أن بعضهم قدّم استقالته من الإخوان لأننا حلنا بينه وبين الجهاد في سبيل الله!..



الدكتور السباعي في وداعه قبل الإنطلاق إلى فلسطين

التدريب في معسكر قطنا

تم الاتفاق بيننا وبين طه الهاشمي على أن تذهب كتيبة الإخوان في موعد معين إلى معسكر قطنا للتدريب على أساليب القتال، واتفق قبل ذهابنا بيومين أن وصلت كتيبة من كتائب الإخوان في مصر لتشترك معنا جنباً إلى جنب في القتال في المكان الذي ألححنا أن نكون فيه وهو مدينة القدس، وكان القتال فيها من أخطر المعارك، إذ

كانت المعركة بين بيت وبيت، ولا يفصل بين مواقع المجاهدين العرب وبين اليهود إلا شارع ضيق لا يزيد عرضه عن بضعة أمتار في كثير من الأحيان.

إلى فلسطين

بقينا في معسكر قطنا نحو شهر ونصف حتى حان موعد ذهابنا، فسافر الفوج الأول من إخواننا بقيادة الملازم عبدالرحمٰن الملوحي وصحبة البطل الشهيد عبدالقادر الحسيني، وقد حضر هذا الفوج معه معركة «القسطل» التي استشهد فيها رحمه الله. ثم سافر الفوج الثاني وكان معنا مجاهدون آخرون بقيادة ضابط مسيحي من أبناء فلسطين أذكر أن اسمه «عيسى» واجتزنا جسر اللنبي إلى فلسطين. وتقرر أن نتجه إلى «أريحا» قرب القدس، ثم ننتقل منها إلى القدس. وتوزعنا على بيوت قرية مجاورة اسمها «البيرة» على ما أظن، وكان من نصيبي أن أبيت تلك الليلة في بيت خوري القرية وقد لقيت منه ومن أسرته كل ترحاب وإكرام، واتفق فور وصولنا إلى «أريحا» أن جاءنا طلب النجدة لمعاونة المجاهدين في معركة «نيفي (النبي) يعقوب» فخرجنا في ظلام الليل إلى تلك المستعمرة وانقسمنا فريقين سار كل فريق في اتجاه، وضلّ دليلنا الفلسطيني طريقه في تلك الليلة المظلمة فاجتزنا منطقة صعبة تفيض بالمرتفعات

والمنخفضات، ولما وصلنا إلى المستعمرة كان صوت القنابل والرصاص قد خف، وأخذنا مواقعنا الحصينة وراء الصخور، فسمعنا أصواتاً تدل على وجود جماعة كبيرة قرب المستعمرة، فكدنا نبدأ بإطلاق النار عليهم ظناً منا بأنهم من سكان المستعمرة اليهودية، ولكنا تريثنا حتى أرسلنا بعض الفدائيين يكتشفون أمرهم فعادوا يخبروننا أن تلك الجماعة هم الفريق الثاني من إخواننا.. كنا نرى بين حين وآخر أضواء خافتة تنبعث من المستعمرة فنوجه إليها نيراننا حتى إذا أوشك الصبح أن يطل علينا عدنا إلى أماكننا المخصصة لنا في القرية، وفي الصباح وجدنا فيها عدداً من مجاهدي «الجهاد المقدس» الذي تشرف عليه الهيئة العربية العليا، وبعد الظهر انتقلنا إلى بيت المقدس.

في المسجد الأقصى

كان فرحنا عظيماً إذ أتيح لنا أن ندافع عن المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين، وأن نستشهد في هذه البقعة المباركة، وقد وجدنا في القدس فوجاً من العراقيين المتطوعين يرأسهم المجاهد السيد فاضل رشيد عبدالله، عدا من كان فيها من مجاهدي القدس ممن تضمهم منطقة «الجهاد المقدس» ثم توزع الإخوان على مناطق القدس العربية التالية: الشيخ جراح، المصرارة،



كتائب المجاهدين بقيادة السباعي في أرض المعركة

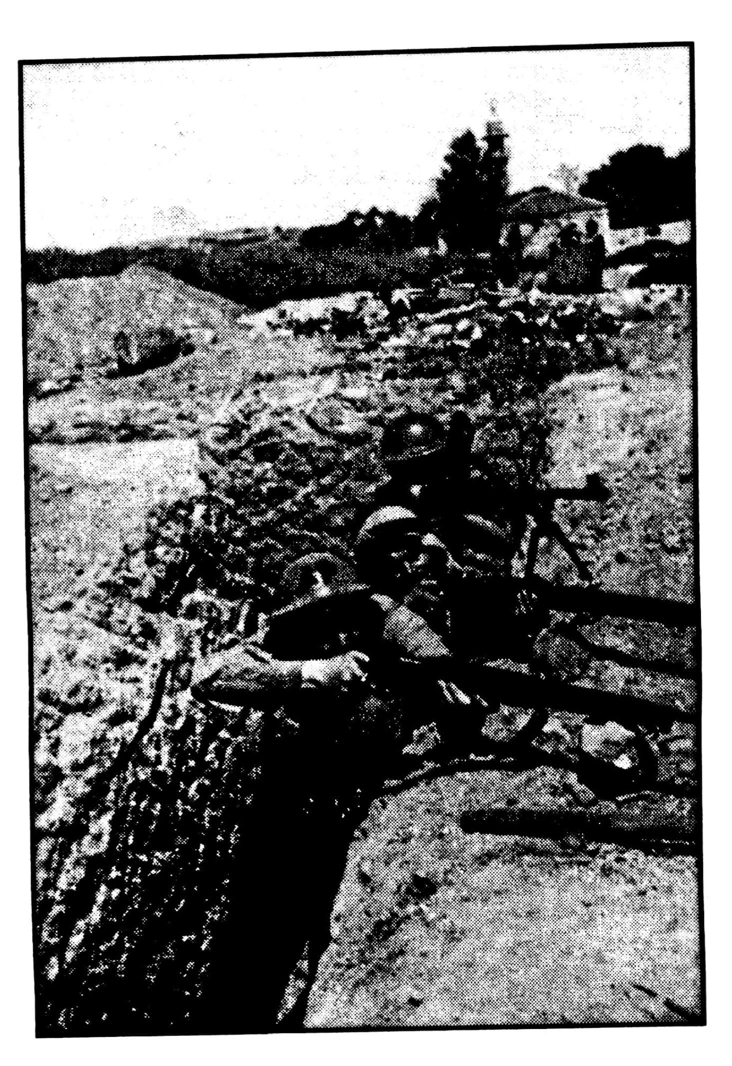
سعد وسعيد، القطمون. وكان المسؤول عن المناطق الثلاثة الأولى الأخ عدنان الدبس، والمسؤول عن القطمون كلاً من الأخوين: زهير شاويش (نائب دمشق الآن) والمرحوم كامل حتاحت، وتألف من إخواننا فريق الانضباط لحفظ الأمن في المدينة بقيادة الشهيد ضيف الله مراد، ثم انضم إليه بعد انتهاء معركة القطمون الأخ زهير شاويش الذي طارد اللصوص والفجار وأغلق الخمارات وأندية القمار، وقد شعر سكان المدينة بالأمن والطمأنينة منذ استلامنا انضباط المدينة فجاء وفد منهم إلى القيادة معرباً عن شكره وامتنانه، وبقي في القيادة عدد منا

للإشراف على الاتصال بين المراكز وأمور السلاح والذخيرة وكان يشرف عليهم الأخ لطفي السيروان.

وكان منامي في غرفة القيادة بالروضة المطلة على المسجد الأقصى مع الضابط فاضل عبدالله والملازمين عبدالرحمٰن الملوحي وجمال الصوفي.

معاركنا في القدس

كان من واجبنا أن نضيّق الخناق على يهود القدس الحديثة والقديمة، وكان فريق من مجاهدي الإخوان المصريين بإشراف الأخ محمود عبده وقيادة البطل الشهيد أحمد عبدالعزيز يرابطون في «صور باهر» القرية العربية الواقعة جنوبي القدس، كما كان فريق من إخواننا الأردنيين بقيادة الأخ الحاج عبداللطيف أبو قورة يرابطون في «عين كارم» الواقعة غربي القدس، وقد استطاع المجاهدون الفلسطينيون قطع الطريق الموصل من تل أبيب إلى القدس بعد معارك طويلة عند «باب الواد» اشتركت فيها مدفعية جيش الإنقاذ وحضرنا جزءاً منها، وبذلك أصبح يهود القدس ومستعمراتها القريبة منها مطوقين تطويقاً تاماً، إذ كان العرب أيضاً يسيطرون على طريق القدس الشرقي لأنه طريق أريحا وعمان، كما كانوا يسيطرون على طريق القدس الشمالي إذ كان طريق نابلس العربية ويسيطر على مدخله حي الشيخ جراح العربي.



في الخنادق في القدس الجديدة

كانت المعارك بيننا وبين اليهود في أطراف القدس وداخلها مستمرة لا ينقطع فيها أزيز الرصاص والرشاشات والقنابل ساعة واحدة في ليل أو نهار من خلال نوافذ البيوت أو منعطفات الطرق أو الهجمات المباغتة على مراكزهم أو هجماتهم على مراكزنا، وكثيراً ما كانت ترسل النجدات المتعددة في يوم واحد إلى مراكزنا من المجاهدين الاحتياطيين الموجودين في مقر القيادة.

اشتداد المعارك بعد جلاء الإنجليز

ولما جلا الإنجليز عن فلسطين في ١٥ أيار (مايو)

عام ١٩٤٨ أضافوا إلى سلسلة مؤامراتهم على العرب مؤامرة جديدة، إذ أخبروا اليهود سراً بواسطة بناتهم اللاتي كن يعاشرن الضباط الإنجليز عن موعد جلائهم عن المراكز العسكرية التي كانوا يحتلونها في منطقة القدس، وكانت كحاجز بين جماهير العرب وجماهير اليهود المدنيين مما كان يمكنهم من مزاولة أعمالهم والبقاء في بيوتهم، فلما تم احتلال اليهود لتلك المراكز يوم ١٥ أيار أصبح وضع العرب في القدس محرجاً لقلة المقاتلين والذخيرة عندهم مما يستحيل معه احتفاظهم بأكثر أحيائهم العربية في القدس الحديثة، وأذكر أننا خرجنا في صباح ذلك اليوم إلى مستعمرات «كفار عصيون» الواقعة جنوب القدس على طريق الخليل إثر معركة نشبت بين اليهود في هذه المستعمرات وبين كتيبة من الجيش العربي بقيادة الكولونيل عبدالله التل، وانتهت بتدمير المستعمرة الرئيسية تدميراً تاماً واستسلام سكان المستعمرات المجاورة لها. وقد كان طريقنا إليها من باب الخليل في القدس مارين بحي منتوفيوري اليهودي الذي كان المجاهدون الفلسطينيون بقيادة الشهيد عبدالقادر الحسيني قد دمروا أكثر أبنيته الضخمة، خرجنا في الصباح وكان الإنجليز يتأهبون لمغادرة القدس وقد اصطفت قوافل سياراتهم العسكرية في رتل طويل جنوب القدس. ولما انتهينا من الإشراف على استلام الأسرى اليهود الذين أبوا أن يستسلموا إلا للجيش العربي

دون المجاهدين العرب، ونقلوا في سيارات الجيش العربي إلى عمان وقد قيل يومئذ أن من بين الأسرى بنت الزعيم اليهودي (وايزمن) ولم نتأكد نحن من ذلك لأن البنات الأسيرات اللواتي كن يقاتلن مع الرجال أبين أن يخبرن عن أسمائهن.

لما انتهينا من ذلك كان الوقت قد أشرف على الغروب فلما اقتربنا من القدس كان اليهود قد قطعوا الطريق إلى باب الخليل باستحكاماتهم التي أقاموها على أطلال حي مانتوفيوري فوجدنا أنفسنا معرضين لنيرانهم مما اضطرنا إلى ركوب سيارة مصفحة كان المجاهدون المقدسيون قد غنموها من اليهود في إحدى معاركهم، ولما وصلنا مقر القيادة وجدنا الأمر قد تغير تماماً وأكثر سكان الأحياء العربية المتاخمة لليهود قد هجروها إلى داخل مدينة القدس.

معركة القطمون

حي القطمون هو أهم حي عربي في القدس الحديثة واقع في جنوبها ويشبه إلى حد كبير حي «أبي رمانة» في دمشق إذ كان يقطنه سراة العرب المقدسيين وأعيانهم، وكانت تقع فيه أكثر القنصليات العربية، كما كان يسكنه الزعيم الفلسطيني المجاهد أحمد حلمي وقد أبى مغادرته بعد جلاء الإنجليز رغم خطورة الوضع فيه، وكان يزور

إخواننا المرابطين في هذا الحي كل يوم تقريباً، ولما تم جلاء الإنجليز عن القدس أصبح وضعهم حرجاً إذ كانت فيه قنصليتا الأردن والعراق مع حراسهما، وفي ذات يوم فوجىء إخواننا بانسحاب حراس القنصليتين ومن فيهما فشدد اليهود هجماتهم على إخواننا وعلى المجاهدين الفلسطينيين المرابطين في الحي نفسه بقيادة الشهيد البطل «أبي دية» رحمه الله، ولما احتل اليهود المنطقة التي كان يدافع عنها أبو دية بعد معركة عنيفة أصبح إخواننا محاصرين من كل جانب، ولم يكونوا أكثر من ٢٤ مجاهداً مع قليل من الذخيرة والعتاد وقد صمدوا لهجمات اليهود أكثر من ثلاثة أيام دون أن يستسلموا حتى وقعت هدنة بين القيادة العربية واليهود بواسطة الصليب الأحمر لمدة ٢٤ ساعة لنقل قتلى اليهود وجرحاهم، عندئذ انسحب إخواننا إلى داخل مدينة القدس وأصبح حي القطمون كله تحت سيطرة اليهود.

معركة الحي اليهودي في القدس القديمة

ابتدأت قبل جلاء الإنجليز عن القدس بخمسة أيام، فقد كان اليهود في هذا الحي محاصرين منذ ستة أشهر يأتيهم طعامهم وحاجاتهم بواسطة الإنجليز، وأخيراً صمم المجاهدون على اقتحام الحي والتلخص منه، وكانت معركة

من أشد المعارك التي خضناها في القدس أظهر فيها المجاهدون من البطولات ما يعجز عنه الوصف، فقد كانوا يتقدمون لنسف الحي اليهودي بيتاً بيتاً بأيديهم الرشاشات والقنابل تحت وابل من الرصاص والقنابل الذي كان يقذفه اليهود عليهم من نوافذ البيوت، وكلما انتهى المجاهدون من نسف بيت ابتدأوا بنسف بيت آخر وهكذا. كان الحي ضيق الطرقات جداً كما هو شأن الأحياء اليهودية القديمة في كل مكان، وكانت فيه ممرات تحت الأرض متصل بعضها ببعض بحيث يستطيعون العودة في الليل إلى ما فقدوه في النهار، وكثيراً ما كان يفاجأ المجاهدون وهم واقفون فوق أطلال البيوت بقنابل تلقى عليهم من قرب كما حدث لي ذات مرة، ولولا لطف الله لأصبنا إصابات بالغة.

ولما غادر الإنجليز القدس اشتدت هجمات المجاهدين العرب على الحي، كما اشتدت مقاومة اليهود، ثم اضطروا للتسليم لنفاذ ذخيرتهم بعد وقوع معركة القدس الكبرى التي سأتحدث عنها فيما بعد، وقد كان وفد المفاوضة منهم مؤلفاً من مختار الحي وهو يهودي عاش في فلسطين يتحدث العربية بطلاقة، ومن اثنين من الحاخامين أحدهما عراقي والآخر بولوني كان يتلو التوراة بلا انقطاع ومن شاب مدرس وفتاة كانت تدعي أنها ممرضة وتبين فيما بعد أنها من «الهاجانا» وهما يتكلمان العربية بطلاقة أيضاً

وقد علمت من الفتاة أنها تتقن استعمال جميع أنواع السلاح من المسدس إلى مدفعية «الهاون». كما علمت من وفدهم أنهم لم يسلموا إلا لنفاد ذخيرتهم، أما الطعام فكان لديهم موجوداً رغم الحصار المفروض عليهم منذ ستة أشهر، وقد علمنا منهم أن الطعام كان يصلهم بواسطة الإنجليز قبل جلائهم، ومن كنيسة الأرمن المحاذية لهم بعد ذلك، وقد تولى قائد الجيش العربي الذي حضرت منه مدفعية صغيرة في انتهاء معركة القدس أمور المفاوضات مع اليهود.. وكان المجاهدون يصرون على أن يأسروا جميع من في الحي انتقاماً من حوادث دير ياسين، ولكن قائد الجيش العربي كان يتصل دائماً بقادته في عمان، وأخيراً جاء إليه الإيعاز بأن يتسلم أسلحتهم ويأسر القادرين منهم على القتال ويترك رجال الدين والنساء والفتيات ـ ولو كن مقاتلات ـ والعجزة والأطفال إلى الصليب الأحمر، وأن يسمح لهم بأخذ كل ما يستطيعون حمله من حلي ومال وثياب!..

وانتقلنا بعد ذلك إلى الساحة الكبرى في الحي اليهودي وكان اليهود قد تجمعوا فيه وكانوا مختلفين في حالة الجزع والخوف، فاليهود الأوروبيون وكلهم شباب وفتيان كانوا يتجلدون ولم نرَ واحداً منهم تدمع عيناه، أما اليهود العرب فقد كانوا في حالة من البكاء والرعب شديدة، ومن طرائف ما رأيته في ذلك اليوم أنه بينما كنا

واقفين في ساحة الحي اليهودي ننتظر حضور اليهود جميعاً إلى الساحة جاءني يهودي في نحو الستين وهو يبكي ويقول بلهجة دمشقية: يا سيدي! أهذا عدل؟ أليس حراماً؟ قلت له: ماذا حصل لك؟ فأجابني وهو يبكي: يا سيدي لقد فقد طربوشي!.. فأجبته وأنا أتميز من الغيظ ولا أتمالك من الضحك؟.. لقد قتلتم في دير ياسين بناتنا وأطفالنا وفعلتم بهم أشنع الأفعال، أفلا يكفيك من عدالتنا اليوم أنك ضمنت حياتك وستكون في المساء عند إخوانك في القدس الحديثة؟ ومع ذلك تسأل عن الطربوش؟!..

وبعد انتهاء تجمعهم أفرز الشباب منهم برأي القائد العربي فلم يتجاوزوا مئة، مع أن مقاتليهم كانوا يزيدون على خمس مئة قطعاً، وأخرج من بينهم رجال الدين ولو كانوا شباباً والنساء مع أن أكثرهن مقاتلات، وانتقلنا إلى المستشفى فوجدناه مليئاً بمن يتظاهرون أنهم من الجرحى إذ كانوا قد عصبوا أيديهم ورؤوسهم وأرجلهم بعصائب، فأبينا إلا أن نفتش عن كل واحد منهم، وكان معنا طبيب عربي، وتبين بعد الفحص أن أكثر عصائبهم كانت تمويهاً فضممناهم إلى الأسرى من الشباب. أما السلاح فلم يسلمونا إلا قطعتين أو ثلاثة، وسألناهم أين سلاحكم؟ فرفضوا أن يجيبوا وفتشنا في البيوت فلم نجد شيئاً، فغلب على ظننا أنهم ألقوها في الآبار البعيدة الغور، وبعد أن تم تسليم غير المأسورين إلى

الصليب الأحمر دخل المجاهدون إلى بيوتهم فتبين أنهم قد زرعوا أبواب البيوت بالقنابل المتفجرة مما حملنا على أن نخصص بعضاً من المجاهدين لتتبع هذه القنابل والتقاطها قبل انفجارها، وقد أصيب بسبب ذلك الأخ إبراهيم حداقي مما أدى إلى بتر معصمه الأيمن بعد أن حمل قنبلة ليرميها بعيداً فانفجرت وهي بيده.

أما سكان القدس من العرب فقد تجمعوا في الشوارع ليشهدوا الأسرى، وكانوا يريدون التقاط صور لهم ولكن قيادة الجيش العربي أبت ذلك وأخرجتهم من القدس قبيل الفجر لئلا يراهم أحد. وهكذا انتهت معركة الحي اليهودي وغادرناه والدمار قد حاق بأكثره، والحرائق التي أشعلها اليهود قبل مغادرتهم قد أتت على الباقي..



بعض المجاهدين يتوسطهم الدكتور السباعي

نسف الكنيس اليهودي

تميزت معركة الحي اليهودي في القدس بحادث كان له وقع أليم جداً في نفوس اليهود، ذلك أنه يوجد لهم فيه أقدم كنيس في فلسطين وربما كان في العالم كله، وهو بناء ضخم مستدير له قبة عالية، وهو يشرف على صحن المسجد الأقصى وقبة الصخرة، ولهم فيه أقدم نسخ التوراة المتوارثة عندهم منذ مئات السنين مكتوبة بخط عبري واضح على جلد سميك، وقد اتخذ اليهود هذا الكنيس مركزاً حربياً يطلقون منه نيران بنادقهم ورشاشاتهم على المسلمين المتجولين في حرم المسجد الأقصى، ولما تمادوا في هذا العمل أنذرناهم بواسطة مكبرات الصوت أننا سننتقم منهم وسنهدم الكنيس إذا استمروا في استغلال أماكن العبادة للأعمال العدوانية، ولكنهم ازدادوا في العناد فوضعوا أكياس الرمل على سطح الكنيس حول قبته واستمروا يطلقون من ورائها النيران على الحرم القدسي وعلى مقر قيادتنا في الروضة، حتى إذا بدأت معركة الحي اليهودي وتمكن المجاهدون من نسف قسم كبير من بيوته وأصبحوا على مقربة منه قرروا نسف الكنيس، وفي ساعة من ساعات النضال في هذه المعركة وضعت المتفجرات في أنحاء متعددة من أسسه بما يزن أكثر من نصف طن من الديناميت ثم أشعلت النيران في أسلاك الديناميت، فما أتت دقائق حتى كان هذا الكنيس الضخم

تتهاوى جدرانه السميكة وينقض جزء من قبته ويملأ الركام أرجاءه. وهكذا تخلص المجاهدون من مركز قوي من مراكز العدوان اليهودي في ذلك الحي.

ولما استسلم اليهود ووقفنا في ساحة الحي نشرف على تنفيذ شروط الاستسلام قال لي أحد أعضاء وفد الاستسلام اليهودي والمرارة تأكل قلبه: لقد أخطأتم بنسف الكنيس وستندمون فقلت له: لقد أنذرناكم أكثر من مرة بعدم اتخاذه مركزاً للعدوان فلم تستجيبوا، أما أن نندم فهذه معركة قائمة بيننا وبينكم ولم يمنعكم إجرامكم من قبلها أن تعتدوا على قبة الصخرة وتنسفوا المساجد في يافا وحيفا ودير ياسين وغيرها.

ولما تم جلاء اليهود عن الحي أخذ فريق من المجاهدين يتفقدون الكنيس المتهدم فوجدوا بين الأنقاض أكثر من نسخة من التوراة ضمن صناديق فضية مستطيلة، وقد أهدى بعضهم قطعاً منها إلى بعض ملوك العرب ورؤسائهم واحتفظ بعضهم بنسخة كاملة منها.

معركة القدس الكبرى

لما تم جلاء الإنجليز عن القدس وكان الحي اليهودي لم يستسلم بعد، أدركنا حرج موقف حامياتنا في القدس الحديثة، وأن اليهود سيبذلون قصارى جهدهم لإنقاذ

إخوانهم المحاصرين في الحي اليهودي، وكانت الذخيرة عندنا قليلة، بل أن فوج اليرموك وكان فيه إخواننا وعدده أكثر من خمسمائة مجاهد كانت بنادقه ورشاشاته كلها من النموذج الألماني ولم يبق لديهم من الذخيرة إلا نزر قليل جداً، مما حملني على أن أغادر القدس إلى دمشق طالباً من قيادة جيش الإنقاذ تزويدنا بما نحتاج إليه من الذخيرة استعداداً للمعركة المرتقبة، وقابلت طه الهاشمي وعرضت عليه ما جئت من أجله، ففاجأني بقوله: إن فوج اليرموك قد سحب من القدس إلى مقر قيادة القاوقجي فلماذا تطلب الذخيرة الألمانية؟

وهنا أدركت مصير معركتنا التي وضعت بأيدي مثل هذا الرجل، فقلت له: ومتى سحب فوج اليرموك؟ قال منذ أسبوع، فقلت أنك أرسلت برقية إلى قائد فوج اليرموك تطلب إليه أن يلتحق شخصياً بفوزي القاوقجي نظراً لتبرم المجاهدين من جهله وغباوته وجبنه، أما فوج اليرموك فلا يزال في القدس وإخواننا فيه وأنا الآن قادم من القدس وبنادقنا خاوية من الذخيرة، فأجابني بكل صلف: «ماكو عندنا ذخيرة ألمانية» أي لا يوجد، فخرجت من عنده إلى رئيس الجمهورية وعرضت عليه الأمر، فاتصل بالهاشمي وطلب إليه أن يعطيني ذخيرة ألمانية، فلما عدت إلى الهاشمي وجدته مربد الوجه وخاطبني بقوله: «كيف ننجح

وكل شيء عندنا بالوساطات؟!...» قلت له: إنني لا أتوسط لوظيفة عندك، ولكن أتوسط لنموت في المعركة موت الشرفاء!..

فأجابني: إنني أمرت بإعطائك خمسة آلاف طلقة إكراماً لرئيس الجمهورية! فقلت له: هذه سينال منها كل بندقية عشر طلقات، ونحن في القدس نتناوش مع اليهود في كل ساعة فماذا نستطيع أن نقاوم بهذه الرصاصات العشر؟ فألح في عناده وخرجت من عنده مغضباً إلى وزير الدفاع فعرضت عليه الأمر فاعتذر بأنه ليس عندهم ذخيرة ألمانية، وفي نهاية الحديث قال: إنه سيتصل بالقيادة العربية العليا للجيوش العربية في عمان ويطلب منها إجابتي إلى طلبي. وقبل مغادرتي دمشق اتصلت به هاتفياً فأكد أنه اتصل بعمان ووعدوه بإجابة طلبي، وعدت إلى عمان في نفس اليوم واتصلت بالقيادة العامة فكانوا مدهوشين من دعوى وزير الدفاع اتصاله بهم، وقالوا: أنه يعلم أن ذخيرتنا كلها إنجليزية فمن أين نأتيك بالذخيرة الألمانية؟

ولما يئست منهم اتصلت بأعضاء لجنة الدفاع عن فلسطين في عمان وكلهم من خيرة التجار السوريين والأردنيين في العاصمة، وعرضت عليهم الأمر وطلبت منهم النجدة فأسرعوا يشترون كل ما وجدوه في السوق من

ذلك، وزادوا عليه عديداً من القنابل وبعض الأسلحة، فعدت إلى القدس وقد حملت من عمان آلاف الطلقات التي تمكننا من الاستمرار في المعركة ساعات، وكان وصولي قبيل الغروب بدقائق، ووجدت معركة الحي اليهودي مشتدة في ذلك اليوم، وقد جرح فيها الملازم الملوحي وما يزيد على أربعين من إخواننا واستشهد فيها ما يزيد على سبعة من شهداء الإخوان، ووجدت القائد فاضل عبدالله مستلقياً على فراشه مستغرقاً في نوم عميق من شدة الإعياء والسهر في الليالي الخمس المواضي، حتى إذا كان الوقت الساعة العاشرة ليلاً جاءتنا أنباء من جميع حامياتنا على أبواب مدينة القدس بأن اليهود قد شنوا هجوماً عاماً على مختلف الأبواب، وركزوا هجومهم على باب الخليل الملاصق للحي اليهودي، عندئذ بدأت أوزع الرصاص على المجاهدين.

ولما اشتد الهجوم الذي شنّه اليهود على باب الخليل بما يقرب من عشرة مصفحات وآلاف المقاتلين، لم أجد بداً من الاستنجاد بإحدى العواصم العربية فطلبت كبار المسؤولين باسم قائد حامية القدس، ثم أيقظت القائد فاضل عبدالله وأخبرته بخطورة الوضع وأني قد طلبت كبار المسؤولين في العاصمة العربية باسمه، وتم الاتصال بينه وبين كبير منهم وأعلمه بخطورة الوضع في القدس وطلب

منه إرسال نجدة عسكرية على وجه السرعة فاعتذر عن ذلك وقال له وأنا أسمع: إذا وجدتم أنفسكم في موقف حرج فانسحبوا من القدس، فأجابه القائد: إن في القدس عدا أهلها ما يزيد على عشرين ألفاً من اللاجئين إليها بعد مجزرة دير ياسين، فإذا احتلها اليهود فستكون مجزرة لم يسمع بها التاريخ فأجابه المسؤول الكبير وهو يظن أن حامية القدس كلها من بلده: أنا آمرك بالانسحاب وأنتم عندنا أغلى!.. وهنا لم أتمالك من أن أقول له: إن الحامية تقسم أن لا يدخل اليهود القدس إلا على أشلائها، فإما أن تنجدونا وإما أن نقاتل حتى نستشهد جميعاً، وهنا جاء من يقول لنا: إن اليهود قد اقتحموا باب الخليل! فتركنا الحديث مع تلك العاصمة العربية!

وأسرعنا إلى إخراج كل من كان في القيادة من الجنود حتى الجرحى ووزعنا عليهم كل ما كنت استحضرته من الرصاص والذخيرة من عمان، وأسرعنا إلى باب الخليل، وشاع في البلدة أن اليهود قد اقتحموا باب الخليل فخرج النساء والأطفال من بيوتهم وكان الكهرباء منقطعاً، وسمعنا منادياً يقول: يا أهل القدس كل من عنده سلاح فليذهب إلى باب الخليل، وهرع الشباب والمقاتلون إلى هناك حيث تبين لنا أن اليهود لم يستطيعوا اقتحام باب الخليل للدفاع البطولي الذي قامت

به الحامية هناك، وتحصن المجاهدون ومن هرع من أهل القدس وراء المتاريس عند باب الخليل وفوق أسواره وابتدأت المعركة الكبرى منذ الساعة الحادية عشرة ليلاً حتى الخامسة صباحاً كان فيها صوت الرصاص والقنابل والديناميت يضج الآذان بلا انقطاع، فلما انبلج الصباح انسحب اليهود وردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً وخلفوا وراءهم مصفحة قد دمرت وبعض القتلى الذين لم يستطيعوا سحبهم معهم.

وعاد المجاهدون إلى أماكنهم والمناضلون المقادسة إلى بيوتهم، وعدنا إلى مقر القيادة فوجدنا ذلك المسؤول العربي الكبير يتصل بنا هاتفياً ليسألنا عن أنباء المعركة، فأجابه قائد حامية القدس بأن الله قد نصرنا وأعاننا على صد هجوم اليهود ولكن ذخيرتنا قد نفذت فإذا لم تصلنا نجدة عسكرية في هذا اليوم فإننا في خطر شديد إذا عاود اليهود الهجوم. وفي عصر ذلك اليوم وصلت قوة من المدفعية الصغيرة معها بعض الجنود، وبدأت تضرب الحي اليهودي من مشارف القدس، فارتفعت معنويات سكان القدس ودبّ الهلع في قلوب اليهود المحاصرين، وبعد ثلاثة أيام استسلم الحي اليهودي كما أسلفنا من قبل.

اتفق عدد من شباب القدس بعد انتهاء معركة الحي اليهودي على أن يتوجهوا إلى بعض العواصم العربية

للإلحاح في إرسال بعض القوى العسكرية التي كانت قد وزعتها القيادة العربية العامة في أنحاء فلسطين إلى القدس حتى لا يتكرر الهجوم عليها، وجئت إلى دمشق وقابلت كبار المسؤولين، وحكيت لهم قصة القدس فتعجبوا وقالوا أن الأخبار التي تذاع من إحدى العواصم العربية وتنشرها الصحف تفيد بأن القدس الحديثة قد استسلمت للعرب!.. فكيف تقول أنكم محاصرون في القدس القديمة؟ وأجبتهم بأنني قادم هذه الساعة من القدس وأنا أحكي لكم القصة على حقيقتها، فاتصلوا بأمين الجامعة العربية الذي كان موجوداً في تلك العاصمة العربية فأكد لهم صدق حديثي وأن الحالة سيئة، وهنا قال أحدهم: لقد دخلنا معركة فلسطين ونحن لا نعلم حقيقة قوة الأعداء!

فقال الآخر مستدركاً: لقد كنا نعلم حقيقتهم تماماً وهذا تقرير صفوت باشا قد تبين لنا انطباقه على الواقع، وهنا قلت له: إذا كنتم تعلمون حقيقة استعداد اليهود فكيف أعددتم جيش الإنقاذ لينقذ فلسطين وهو لا يزيد على أربعة آلاف غير مدربين تدريباً كافياً وليست له قوة جوية ولا مدفعية إلا مدفعية بسيطة جداً مع أن في القدس الحديثة وحدها عشرة آلاف مقاتل يهودي؟ فأجابني: إننا لم نرسل جيش الإنقاذ ليحارب بل ليقوم بمهمات مؤقتة!.. فقلت

له: ولهذا كان أكثر جيش الإنقاذ يتنزه في مناطق عربية بحتة كنابلس بينما كانت حيفا ويافا وغيرها تسقط بأيدي اليهود وكانت مجازر دير ياسين تقع على سمع هذا الجيش وبصره!.. فسكتوا جميعاً...

ثم عدت إلى القدس مع الأخ الأستاذ عمر الأميري الذي جاءها لأول مرة.

وبعد أيام قليلة وقعت الهدنة المشؤومة وجاءتنا الأوامر من قيادة جيش الإنقاذ بدمشق بالانسحاب من القدس وتسليمها للجيش العربي بحجة أننا سنرسل إلى الجبهة السورية.

العودة إلى دمشق

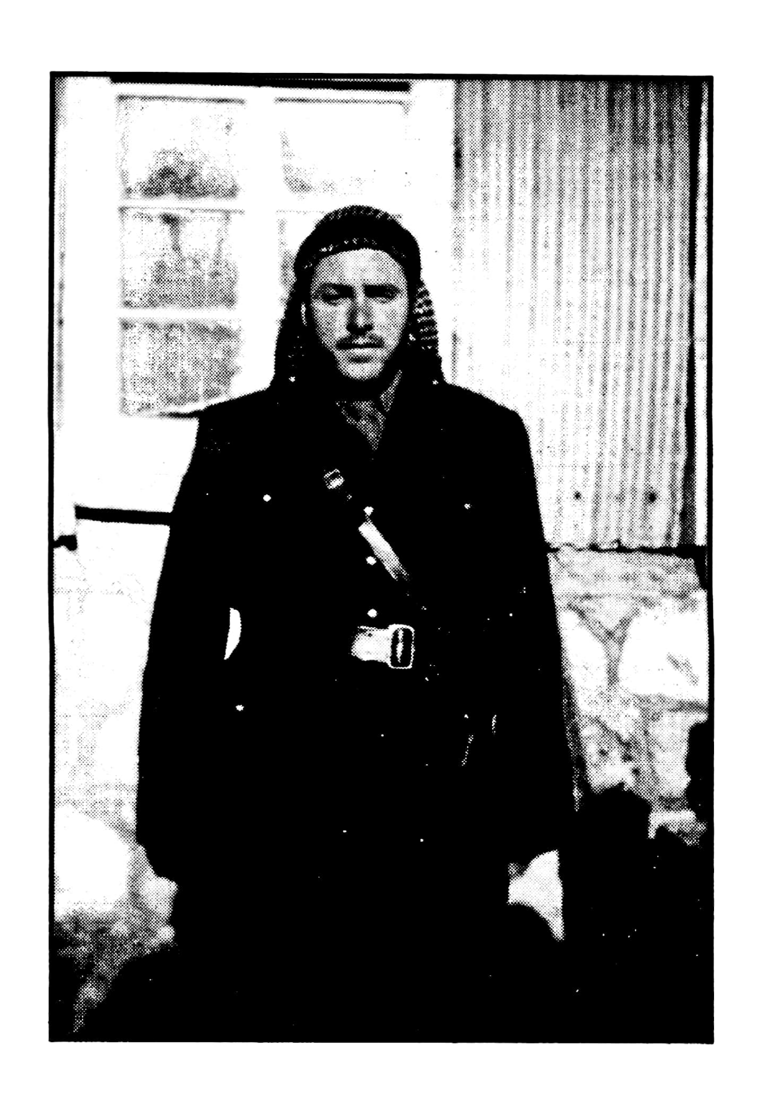
كنا نشعر ونحن في قلب معارك القدس أن هناك مناورات تجري في الصعيد الدولي وفي أوساط السياسات العربية الرسمية العليا لجعل التقسيم أمراً مفروغاً منه، ولجعل القدس تخرج من أيدي العرب والمسلمين، فتشاورنا في كتيبة الإخوان فيما يجب علينا فعله بعد صدور الأوامر إلينا بالانسحاب من القدس كما أسلفت، فقرّ رأينا على أننا لا نستطيع مخالفة الأوامر الصادرة إلينا بمغادرة القدس لاعتبارات متعددة، وأننا بعد وصولنا إلى دمشق سنرسل بعض الإخوان خفية إلى القدس مرة ثانية لدراسة ما

إذا كان بالإمكان عودتنا بصورة إفرادية لنتابع نضالنا في الدفاع عن فلسطين، وعدنا إلى دمشق مع سائر أفراد الحامية وقيادتها التابعة لجيش الإنقاذ، حيث تسلمت قيادة جيش الإنقاذ أسلحتنا، ووعدت باستدعائنا مرة ثانية عند الحاجة. . .

ووجدت من واجبي أن أكشف الحقائق التي تبينتها بنفسي في هذه المعارك لما وجدته من انخداع الجمهور بما يذاع ويكتب بإيحاء من مصادر عربية رسمية معينة، وألقيت في ذلك محاضرات في كل من دمشق وحمص وحماه وحلب واللاذقية ودير الزور وغيرها من المدن السورية، وذهل الجمهور لما أبديته من حقائق لم تكن معروفة لديهم تماماً، حتى شكّ بعضهم فيها ثم انكشف الأمر وتبين صدق ما أدعي عن العوامل الخفية والظاهرة التي كانت تسيِّر معركة فلسطين.

هذا بينما كان فريق من إخواننا المجاهدين قد عادوا إلى فلسطين خفية لتنفيذ ما اتفقنا عليه، ومن بين العائدين الإخوان: زهير شاويش، المرحوم كامل حتاحت، الشهيد ضيف الله مراد، وهنالك انضموا إلى فرقة التدمير في القدس حيث قاموا بأعمال بطولية رائعة من نسف الجسور والمستعمرات والسكك الحديدية التي كان يسيطر عليها اليهود، وحسبنا أن نعلم أن سكة حديد

القدس ـ اللد لم يستطع اليهود إصلاحها واستعمالها إلا بعد مرور سنة ونصف على تدميرها. وظل إخواننا هؤلاء على تعاون مع فرقة الإخوان المسلمين المصريين بقيادة الشهيد أحمد عبدالعزيز، وهنالك استشهد الأخ ضيف الله مراد في عمل فدائي يعد من أروع آيات الإيمان والفداء...



الدكتور السباعي في لباس الجهاد

بعض الملاحظات على معركة فلسطين

أقف عند سرد الوقائع التاريخية عند هذا الحد على أنِ أكتفي بتسجيل الملاحظات التالية:

١ - إن جيش الإنقاذ الذي ألفته الجامعة العربية ووكلت قيادته إلى فوزي القاوقجي لم يكن إلا تسكيتاً لشعور العرب الهائج في كل بلد، وأنه لم يكن يقصد منه جدياً أن يقاتل ويمنع سقوط المدن والقرى العربية بأيدي اليهود.

٢ - أن قيادة جيش الإنقاذ لم تخض معركة جدية واحدة في فلسطين، فالقاوقجي كان مقيماً قرب نابلس في منطقة عربية بحتة، وصفوت باشا وطه الهاشمي لم يدخلا فلسطين قط ولم يكونا يعرفان حقيقة الأوضاع في فلسطين بل كان مقر الهاشمي في دمشق وكان صفوت باشا يتنقل بين القاهرة ودمشق.

٣ - إن جيش الإنقاذ كانت مهمته تحطيم منظمة «الجهاد المقدس» التي انخرط فيها شباب الفلسطينيين وأبدوا من البطولات ما سجله لهم التاريخ بإعجاب وإكبار، وكان قائدها الشهيد البطل عبدالقادر الحسيني يحاول أن يحصل من الجامعة على قدر كاف من الأسلحة فخاب مسعاه، حتى إنه حين جاء إلى معسكر قطنا ليأخذ معه

الفوج الأول من إخواننا قال: إنني طلبت منهم مدفعاً واحداً فرفضوا وأعطوني مائة بندقية لا تصلح إلا لوقود النار، وهذه هي معي في السيارة، ونظرنا فإذا ببنادق من العهد الفيصلي في أعقاب الحرب العالمية الأولى وأكثرها معصب بعصائب من الحديد، ثم تابع الشهيد قوله: إنني ذاهب إلى فلسطين لاسترد «القسطل» وسأموت ولن أترك بلادي فلسطين طعمة للأعداء!.

الشهداء

تيسير طه: كان رحمه الله من خيرة الشباب إيماناً وأخلاقاً وذكاءً ونشاطاً، أصر على أن يلتحق بكتائب الإخوان منذ اللحظة الأولى، ولكن أقرباءه منعوه بالقوة إذ كان بينه وبين موعد زفافه أسبوع واحد، وكانت تخنقه العبرات كلما رآني قادماً من القدس إلى دمشق لبعض الأعمال المتعلقة بالمعركة هناك، وفي يوم ١٧ أيار (مايو) ١٩٤٨ حين قدمت دمشق لأخذ الذخيرة كما تحدثت في هذا المقال، فاجأني في المركز العام للإخوان وهو بلباس الميدان مع صديقه الحميم الأخ الدكتور زهير البيك وكانا يدرسان الطب في السنة الرابعة في كلية الطب بجامعة دمشق، وأصرا على الذهاب معي في نفس السيارة التي أعود فيها إلى القدس، فسألته: هل رضي والدك؟

قال: نعم، قلت: كيف استطعت أن تقنعه؟ قال: لقد كان يقرأ القرآن اليوم بعد صلاة الفجر وأنا أسمع، فتلا قوله تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ فقلت لأبي: ألا تؤمن بما جاء في هذه الآية الكريمة؟ قال: بلى! قلت: فلمَ تمنعني من الجهاد في فلسطين؟ قال: فسكت قليلاً ثم قال لي: اذهب فالآجال بيد الله.

وغادرنا دمشق مع الأخوين تيسير وزهير البيك، وكان الشهيد تيسير في حالة من الفرح لا توصف، ووصلنا عمان قرب العصر، وأخذت الذخيرة منها كما تحدثت سابقاً وأسرعت بالسفر إلى القدس بعد الغروب على أن يلحق بي الإخوان فيما بعد، وناما ليلتهما تلك في عمان، وبعد عصر اليوم الثاني في ١٨ أيار وصلا إلى القدس، وكان المستشفى يغص بجرحى المجاهدين، فأقنعتهما بأن يكون عملهما في المستشفى لأننا أحوج إليهما فيه من ميدان القتال، ونبهت الأخ المشرف على السلاح بأن لا يسلمهما سلاحاً مهما أصرا على ذلك، وقمت في تلك الليلة بجولة أتفقد فيها مراكز حاميات الإخوان، ثم عدت إلى مقر القيادة قريباً من الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، ونمت ـ كعادتنا ـ في ثياب الميدان الكاملة استعداداً لكل طارىء، وفي الساعة السادسة صباحاً أيقظني الأخ

لطفي السيروان قائلاً: حبذا لو تذهب إلى المستشفى! قلت: وهل هنالك شيء جديد؟ قال: لقد جرح الأخ تيسير! فذهلت وقلت: من أين أخذ السلاح؟ وكيف كان ذلك؟

قال: لقد وردتنا في الساعة الثالثة بعد منتصف الليل إشارة بطلب نجدة سريعة لحامية «باب العامود» فأيقظنا عدداً من المجاهدين وأصر تيسير على أن يذهب هو وصديقه زهير معهم، وذهبا مع المجاهدين إلى مكان المعركة، واستمر تيسير ساهراً في المعركة حتى بزغ الفجر، فقام مع إخوانه لأداء صلاة الصبح بعد أن تيمموا إذ لم يجدوا ماء، فلما أتموا الصلاة عاد تيسير إلى مكانه فإذا برصاصة تخترق جمجمته من جبهته!

لما قصّ علي الأخ لطفي السيروان ذلك نهضت مسرعاً معه إلى المستشفى فوجدت الشهيد في غيبوبة تامة وهو يحشرج، وسألت كبير الجراحين هل هناك أمل من إجراء عملية جراحية تنقذ حياته؟ فأجابني بالنفي ومع ذلك فقد أجريت له عملية جراحية سريعة تبين منها أنه أصيب برصاص «دمدم» الذي يمزق كل ما حوله، وبعد ساعات صعدت روح الشهيد إلى بارئها راضية مرضية، وأجمع رأي إخواننا على أن نحمل جثمانه إلى دمشق وامتطيت سيارة تحمل الجثمان حيث أودعناه في إحدى غرف المركز العام

للإخوان في السنجقدار ثم شيع إلى مرقده الأخير في «دوما» في موكب رهيب احتشدت له دمشق ودوما رحمه الله وأجزل مثوبته.

ضيف الله مراد: كان رحمه الله في شرطة دمشق فلما تجهزنا للذهاب إلى معسكر قطنا جاءني يطلب إلي أن أتوسط له مع مدير الشرطة العام (وكان يومئذ حسني الزعيم) للسماح له بالسفر معنا إلى فلسطين حيث رفض الموافقة على ذلك، فاتصلت بحسني الزعيم ورجوته السماح له فوافق، وجاءنا الشهيد رحمه الله فرحاً بهذه الموافقة، واستمر في المعركة حتى عدنا إلى دمشق أخيراً، فأصر على أن يكون مع العائدين إلى القدس لدراسة الموقف هناك، وجاءني من والدته رجاء بأن لا أسمح له بالعودة لأنه أكبر إخوته وهو يعيلهم مع والدته، فحدثته بذلك فأبى. وبعد جدال طويل بيني وبينه قال لي بلهجة حازمة: أستحلفك بالله أن تسمح لي بالعودة فإني والله أشم رائحة الجنة فلا تمنعني من الشهادة!... ودمعت عيناه وكانت لحظة رهيبة دمعت فيها عيناي أيضاً لجلال روعة الإيمان والفداء، ثم سافر مع إخوانه، وهناك في «صور باهر» قرب بيت المقدس أكرمه الله بالشهادة كما كان يتمنى، تغمده الله برضوانه.

الرقيب هاشم: من أرمناز من محافظة حلب، وكان

أول من استشهد من إخواننا في القدس حين كان في حامية «حي القطمون» وله ثلاثة أولاد صغار، وقد دفن في القدس رحمه الله.

محمد قباني: كان بطلاً من أبطال المصارعة في النادي الرياضي للإخوان بحمص، وكان مثالاً للجرأة والشجاعة، دفن في جوار المسجد الأقصى رحمه الله.

محمد عرنوس: من اللاذقية كان يعيل أختيه وأمه وقد استشهد في معركة الحي اليهودي ودفن في جوار المسجد الأقصى رحمه الله.

محمود الدندشي: من حمص وأب لعدة أولاد صغار، استشهد في معركة الحي اليهودي ودفن في جوار المسجد الأقصى رحمه الله.

محمد الصباغ: استشهد في معركة الحي اليهودي ودفن في جوار المسجد الأقصى رحمه الله.

راشد طالب: استشهد في معركة الحي اليهودي ودفن في جوار المسجد الأقصى رحمه الله.

نايف حسن عودة: استشهد في معركة الحي اليهودي ودفن في جوار المسجد الأقصى رحمه الله.

راضي الجوهري: كان من بين الذين التحقوا بنا من إخوان نابلس في فلسطين. وقد استشهد في معركة الحي

اليهودي ودفن في جوار المسجد الأقصى، رحمه الله.

وبعد فهذا جزء من الحديث عن دور الإخوان السوريين في معركة فلسطين، أما إخوان مصر فقد نشر الحديث عنهم في كتاب خاص، وأما إخوان الأردن فإن عليهم أن ينشروا صفحات جهادهم في معركة فلسطين استكمالاً لهذه الحلقة التاريخية من جهاد الإخوان المسلمين.

* * *



فهرس الموضوعات

* * *



صدر حديثاً

الأمر وآمال

سِلسِلَةُ مقالاتٍ نُشِرَتْ في مجلّةِ الفتْحِ القاهِريّةِ

الدكتور مصطفى السباعي

بعناية وتقديم

محمود شاكر

دار الوراق

للنشر والتوزيع


شباب
النادي الشبابي

صدر حديثاً

مُقَدِّمَاتُ

حضارة الإسلام

الدكتور مصطفى السباعي

دار الوراق
للنشر والتوزيع


النادي الشبابي

كتب للمؤلف

١ ـ أحكام الصيام وفلسفته.
٢ ـ أخلاقنا الاجتماعية.
٣ ـ الاستشراق والمستشرقون.
٤ ـ السيرة النبوية دروس وعبر.
٥ ـ عظماؤنا في التاريخ.
٦ ـ المرأة بين الفقه والقانون.
٧ ـ من روائع حضارتنا.
٨ ـ هكذا علمتني الحياة.
٩ ـ القلائد من فرائد الفوائد.
١٠ ـ شرح قانون الأحوال الشخصية ١/٢.
١١ ـ نظام السلم والحرب في الإسلام.
١٢ ـ التكافل الاجتماعي في الإسلام.
١٣ ـ المرونة والتطور في التشريع الإسلامي.
١٤ ـ مشروعية الإرث وأحكامه في الإسلام.
١٥ ـ الدين والدولة في الإسلام.
١٦ ـ أصدق الاتجاهات الفكرية في الشرق العربي.
١٧ ـ السُنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي.

